لو علم الشباب . ولو قدر المشيب ! . .

Si jeunesse savait, si vieillesse pouvait !

وقد اخذ اسمعيل باشا صبري هذا المثل الافرنجي ونظمه في شعر عربي من شعره المعروف بسلاسة المبنى وبلاغة المعنى فقال :

لم يدرِ طعمَ العيش شبانٌ — ولم يدركهُ شيبُ
جهلٌ يُضلُّ قوى الفتى فتطيشُ والمرمى قريبُ
وقوىً تخورُ اذا تشبث — بالقوى الشيخُ الاريبُ
فيما يُقال كما المغفَّلُ إذ يُقال خبا اللبيبُ
أواهُ لو علم الشبابُ — وآهِ لو قدر المشيبُ

فلو كان الشباب يجمع الى قواه الخبرة والتجربة لأتى بالمعجزات ، ولو كان المشيب يجمع الى اختباره المقدرة على العمل لجاء بالايات الباهرات . ولكن

آواه لو علم الشباب وآه لو قدر المشيبُ

عواطف وآمال

لا لا لم ينزل العندليب على الزهرة الا ليشكو لها الصبابة ويبثها الهيام ، ولم تُرسل هذه عطرها الا لتؤكد له حبها ، وما فتقت عنها الآكام الا لتضمَّ بين ذراعيها الحبيب ، فعطفاً على المحب ايها الانسان ..!

لله ما أنكد العيش وأتعسهُ اذا لم يقطعهُ السرور وتتخلله الاغاني !

وما أمرّ الحياة وأظلمها اذا لم يمتزج بشرابها سيّال الحب ولم تسطع فيها أنوار الغرام !

ونظير مياه الينبوع تجري في السواقي وتخفيها البحار ، وكمثل رياح القفر تهبُّ في وريقات الزهور وتبتلعها أوراق الاشجار ، تمضي الحياة الخالية من الحب ويتصرّم الشباب تطويهِ الوحشة ويقصره السأم . . .

دبَّ النعاس بجفن ذكاء فاضطجعت على فراش الامواج ونامت نوماً هادئاً رغماً عما كان بنفس هذه من الهيجان . ورأت ذكاء ولو في المنام حزن الأرض وانقباض أهلها فارسلت فتاها فأتى وملأ الفضاء نوراً والقلوب رجاء

هبَّ النسيم نسيم الغروب فمزّق عن الوردة اللباس وكساها بثوب من الانعاش قشيب فاعجب لمرٍّ وكاسٍ . . .

عسعس الليل وأوت الى أوكارها الاطيار . وطالت ظلال الأشجار فزادت المكان وحشةً ، وساد السكون عميقاً فأخلدت عوامل الطبيعة الى الهدوّ ، وما استطاع تقطيعه سوى أنفاس الباري يرسلها نسمات لطيفة فتزكّي تلك الارجاء ، وتترك منها للانسان أثراً جميلاً يستهوي القلوب ويسترقّ الاسماع . وكأن السرور جالب التأمل ان هو تناهى ، فجلستُ على صخرة هناك وجعلت أتأمل

بالطبيعة جلستُ أفتكر في أصل وجودها وكيف يكون فناؤها من أصغر زهرة فيها الى اكبر سروة ، فعجبتُ من عواملها ومجّدتُ خالقها بهذا الهواء كيف يهبّ منها نقياً كأن أنفاس البشر لم تقوَ على

إفساده وقد اختلطت بهِ مراراً . بهذا الليل وقد رأى العالم يرتكب تحت حمايته أفظع الذنوب وأشنع الآثام كيف يستره كأنه جهل ان من سكت عن الاشرار بالشر رُمي ومن دافع عن المذنب بالذنب أثمهم . . .

أحزنتْ نفسي هـذه التصورات فبدت على وجهي منهـا دلائل القلق . وكأن الطبيعة وقد علمت انني من محبيها لم تشأ ان تتركني حليف الغمّ والقلق وقد طلبتُ منها سميراً فأرـلت اليَّ ما يلهيني فرأيت شبحين كانا يظهران تارةً من خلال الاشجار ويختفيان فأوقعاني في الريبة ولم يجدِني ذلك نفعاً فرجعتُ أفتكرُ ايضاً ولكن لا فبين الاول والثـاني خطى ومراحل

* * *

تقدمت لأرى ما وراء ذلك واذا بي أمام شاب تنبعث من عينيهِ شرارات القسوة والخشونة يداعب حيزبوناً تبينت بوجهها تجعدات جمة وبجبينها خطوطاً عديدة ولم أستطع علم هيئتها وادراك كنه أمرها رغماً عن احداقي بها واعمال الفكرة في قراءة ما في نفسها . وهناك الى جانب من الغاب كهلٌ ملقى على الحضيض دامي الاحشاء على وجهه سمة الوقار وبنظرته الحنوّ والاشفـاق . ولم ألبث ان رأيت الشاب قد أخذ بذراع العجوز وتوغلا في الغاب . وأما أنا فتوسمت في خطوط جبين المرأة وبعد النظر طويلاً قرأت بأحرف كُتب بعضها بشوكٍ غليظ وبعضها بزهور لطيفة هذه الكلمة — الحياة — واستلفت نظري شيء ناتئ على كتف الشاب فحدقت فيهِ وتهجيت هذه الكلمة وقد كتبت بمداد أسود على

صحيفة من النحاس — الفساد — ولما بعدا عن الشيخ ووارتهما أغصان الغاب رجعتُ إليهِ فلقيتهُ يئنّ أنيناً متقطعاً وهو يحتضر وكان احتضاره رهيباً مزعجاً فدنوت منهُ وسألتهُ: وأنت من أنت يا هـذا فأجاب والنور يخرج من فيهِ : أنا الحب العذري — أنا الطهر — أنا العفاف

قال هذا وتنفس الصعداء وكان بها خروج الروح . وأدرت لحاظي في هيئتهِ فرأيتهُ قد تحوّل كلهُ الى شعلة من نور ورأيت زهرة آسٍ كان يتضوع منها عرفٌ قويٌّ الرائحة رغماً عن ذبولها . وساد السكون على تلك الانحاء عميقاً فرجعتُ ادراجي نحو منزلي لما رأيت ان الهواء أصبح بارداً وشعرت بوطأة السكون

بيروت جميل مدور

نظرة اشراف عام

على ديار نجد

وقعت مقالات مراسلنا البغدادي الفاضل أحسن وقع عند قرائنا لانه كشف فيها النقاب عن امور وحقائق قلّ من اطلع عليها ، وهي تتعلق ببلاد العرب وتاريخ النهضة الادبية فيها . ونحن نبشر القراء اليوم بأن هذا الكاتب القدير سيدبج للزهور سلسلة مقالات في هذا الموضوع الجليل الذي لم يسبق اليه . وهو يبني كتاباته على ابحاثه الشخصية الواسعة مدعومة بما يستقيه من اوثق المصادر . وها نحن ننشر اليوم مقالته الاولى التي تشرح هيئة تلك البلاد وحالتها الحاضرة وهي مقدمة لابحاث آتية . وفي هذه المناسبة نكرر له الشكر باسم « الزهور » وقرائها على ما يتحفنا به من المباحث الشائقة التي تعد خير خدمة للعلم والادب . واليك الحلقة الأولى من هذه المقالات :